

## من فيض القرآن الكريم



الأربعاء 19 أكتوبر 2022 08:45 ص

فتحي السيد

أراد الله سبحانه وتعالى أن يترى الجيل الأول مع الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم؛ فكان ينزل عليهم يوضح لهم ملامح دعوتهم، وحقيقة الطريق، ويتفاعل معهم في أحداث حياتهم اليومية، ويعالج ما قد يظهر من اضطرابات أو أمراض حتى كان الجيل الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم؛ **فَعَنَ عَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ( حَيْرُ النَّاسِ قُرَيْبِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ ) . رواه البخاري**

ولن يتحقق لنا ما تحقق للسلف إلا عندما نعيش مع القرآن كما عاشوا ولنا اليوم وقفة مع قوله تعالى: **﴿وَاسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَطَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُزْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40)﴾** سورة القصص

[يقول صاحب الظلال - عليه رحمة الله - هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان . نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان . فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة، ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً .

(واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق ، وطنوا أنهم إلينا لا يرجعون). .

فلما توهموا عدم الرجعة إلى الله استكبروا في الأرض بغير الحق ، وكذبوا بالآيات والنذر [ التي جاء ذكرها في مطلع هذه الحلقة، ووردت بالتفصيل في سور أخرى ] .

(فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم).

هكذا في اختصار حاسم . أخذ شديد ونبذ في اليم . نبذ كما تقذف الحصاة أو كما يرمى بالحجر . اليم الذي ألقى في مثله موسى الطفل الرضيع ، فكان مأمناً وملجأً . وهو ذاته الذي ينبذ فيه فرعون الجبار وجنوده فإذا هو مخافة ومهلكة . فالأمن إنما يكون في جناب الله ، والمخافة إنما تكون في البعد عن ذلك الجناب . (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين). .

فهي عاقبة مشهودة معروضة للعالمين . وفيها عبرة للمعتبرين ، ونذير للمكذبين . وفيها يد القدرة تعصف بالطاغاة والمتجبرين في مثل لمح البصر ، وفي أقل من نصف سطر !!

تأملوا هذا الترتيب والتعقيب والسرعة (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ)، (فَأَخَذَتْهَا وَجُنُودَهُ). إنها عاقبة البغي والعدوان، (فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا).

وانظروا في قوله: (فَتَبَدَّلْنَاهُمْ)، ففيها من المهانة والإهانة للظالمين ما فيها. !!

والنبد في اللغة يعنى: (طرحك الشيء من يدك أو وراءك)، ونبذت الشيء: (إذا رميته وأبعدته).

فهذا المنبذ كان يوماً يقول - منبهاً - وسط قومه وبين حاشيته، (يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي □ أَفَلَا تُبْصِرُونَ). ووقف متكبراً متعالياً في ملا من قومه يقول: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي). وواصل جبروته وفرعنته وعلوه أن نادى قومه وحشرهم، وقال لهم: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى).

ها هو - الطاغية المتكبر - نُصوره الآية مأخوذاً منبذاً هو وجنوده !!. فأين ملكوته؟! .. وأين جبروته؟! .. وأين جنوده وحاشيته?!.

إنها سنة الله في الأولين، التي لا تتبدل ولا تتحول في الآخرين، الذين يظلمون الناس، ويستكبرون في الأرض، ويمكرون بالعباد المكر السيئ، (اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ □ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ □ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ □ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا □ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)) فاطر.

قال محمد بن كعب القرظي: «ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكت، وتصديقها في كتاب الله: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) فاطر 43. (إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) يونس 23، (فَمَنْ تَكَنَّ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) الفتح 10.» .

ويعلق الإمام الطبري في تفسيره على قوله تعالى: (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)، فيقول: «فانظر يا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم، وردوا على رسوله نصيحته، ألم نهلكهم فَنَوَّرْتُ ديارهم وأموالهم أولياءنا، ونحوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز، ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، تقتل أبناؤهم، وتُستحيا نساؤهم، فإننا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون مخولوك وإياهم ديار من كذبك، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحقّ وأموالهم، ومهلكوهم قتلا بالسيف، سنة الله في الذين خلوا من قبل.».

كن مع ربك :

مطلوب منا أن نعيش مرتبطين بالله ندور مع كتابه وشرعه نتسلح بالأسباب عبادة لله؛ فلقد تحرك سيدنا موسى ومن معه، ومع يقينه أن ما بيده عصا لا تحدث فارقا في المعركة المادية إلا أنه ضرب بها البحر امتثالا لأمر الله فكانت سببا للنجاة وهلاك الظالمين؛ فليضرب كل منا بجميع ما يملك من طاقته وأسبابه وانقا بوعد الله وبقينا يتحقق للإيمان وأهله العزة والنصر.

